

التحرير والتنوير

وقوله (والذي أخرج المرعى) تذكير لخلق جنس النبات من شجر وغيره . واقتصر على بعض أنواعه وهو الكلأ لأنه معاش السوائم التي ينتفع الناس بها .

والمراد : إخراجه من الأرض وهو لإنباته .

والمرعى : النبت الذي ترعاه السوائم وأصله : إما مصدر ميمي أطلق على الشيء المرعى من إطلاق المصدر على المفعول مثل الخلق بمعنى المخلوق وإما اسم مكان الرعي أطلق على ما ينبت فيه ويرعى إطلاقاً مجازياً بعلاقة الحلول كما أطلق اسم الوادي على الماء الجاري فيه . والقرينة جعله مفعولاً ل (أخرج) وإيثار كلمة (المرعى) دون لفظ النبات لما يشعر به مادة الرعي من نفع الأنعام به ونفعها للناس الذين يتخذونها مع رعاية الفاصلة .

والغناء : بضم الغين المعجمة وتخفيف المثلثة ويقال بتشديد المثلثة وهو اليايس من النبت .

والأحوى : الموصوف بالحوة بضم الحاء وتشديد الواو وهي من الألوان : سمرة تقرب من السواد . وهو صفة (غناء) لأن الغناء يابس فتصير خضرته حوة . وهذا الوصف أحوى لاستحضار تغير لونه بعد أن كان أخضر يانعا وذلك دليل على تصرفه تعالى بالإنشاء وبالإنهاء .

وفي وصف إخراج المرعى وجعله غناء أحوى مع ما سبقه من الأوصاف في سياق المناسبة بينها وبين الغرض المسوق له الكلام وإيماء إلى تمثيل حال القرآن وهدايته وما اشتمل عليه من الشريعة التي تنفع الناس بحال الغيث الذي ينبت به المرعى فتنفع به الدواب والأنعام وإلى أن هذه الشريعة تكمل ويبلغ ما أراد الله فيها كما يكمل المرعى ويبلغ نضجه حين يصير غناء أحوى على طريقة تمثيلية مكنية رمز إليها بذكر لازم الغيث وهو المرعى . وقد جاء بيان هذا الإيماء وتفصيله بقول النبي A " مثل ما بعثني الله به من الهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا " الحديث .

ويجوز أن يكون المقصود من جملة (فجعله غناء أحوى) إدماج العبرة بتصاريف ما أودع الله في المخلوقات من مختلف الأطوار من الشيء إلى ضده للتذكير بالفناء بعد الحياة كما قال تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) للإشارة إلى أن مدة نضارة الحياة للأشياء تشبه المدة القصيرة فاستعير لعطف (جعله غناء) الحرف الموضوع لعطف ما يحصل فيه حكم المعطوف عليه

ويكون ذلك من قبيل قوله تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام) إلى قوله (فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) .

(سنقرئك فلا تنسى [6] إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى [7]) قد عرفت أن الأمر بالتسبيح في قوله (سبح اسم ربك الأعلى) بشارة إجمالية للنبي A بخير يحصل له فهذا موقع البيان الصريح بوعدده بأنه سيعصمه من نسيان ما يقرئه فيبلغه كما أوحى إليه ويحفظه من التفلت عليه ولهذا تكون هذه الجملة استئنفاً بيانياً لأن البشارة تنشيء في نفس النبي من (سنقرئك) قوله على فرع ما مع الوحي من سيزيده بأنه فيشره يأتيه بخير لوعده ترقباً A قوله (فلا تنسى) .

" عباس ابن عن الصحيح في ثبت وقد . نزولا السور أوائل من السورة هذه كانت قد وإذا A E أن النبي A كان يعالج من التنزيل شدة إذا نزل جبريل وكان مما يحرك شفثيه ولسانه يريد أن يحفظه ويخشى أن يتفلى عليه فقيل له (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) إن علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه أن تقرأه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) . يقول : إذا أنزل عليك فاستمع قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما قرأ جبريل كما وعده الله " وسورة القيامة التي منها (لا تحرك به لسانك) نزلت بعد سورة الأعلى فقد تعين أن قوله (سنقرئك فلا تنسى) وعد من الله بعونه على حفظ جميع ما يوحى إليه . وإنما ابتدء بقوله (سنقرئك) تمهيدا للمقصود الذي هو (فلا تنسى) وإدماجا للإعلام بأن القرآن في تزايد مستمر فإذا كان قد خاف من نسيان بعض ما أوحى إليه على حين قلته فإنه سيتتابع ويتكاثر فلا يخش نسيانه فقد تكفل له عدم نسيانه مع تزايد